الإمام النّووي

أعـلام الحديـث

الإمام النّووي

هو صاحب أشهر ثلاثة كتب يكاد لا يخلو منها بيت مسلم وهي " الأربعين النووية " و" الأذكار " و " رياض الصالحين "، وبالرغم من قلة صفحات هذه الكتب وقلة ما بذل فيها من جهد في الجمع والتأليف إلا أنها لاقت هذا الانتشار والقبول الكبيرين بين الناس، وقد عزى كثير من العلماء ذلك، إلى إخلاص النووي رحمه الله، فرب عمل صغير تكبره النية.

نسَبُه ومَوْلده:

لقد فاق الإمام النووي علماء عصره ومن المرجح أنه - رحمه الله - مات ولم يتعد الخامسة والأربعين عاما، وترك من الآثار العلمية والتقريرات والكتب المحررات ما فاق به علماء عصره وأئمة دهره.

لقد تزوج شيخنا النووي كتب العلم النافع، ورضى بسكنى الأربطة المعدة للطلاب وقنع بالكعك والتين، حتى يوفر وقته وجهده لخدمة المسلمين، وكان يلبس المرقع من الثياب ولا يبالي بزينة الدنيا طلبا لرضى الملك الوهاب، فما نال من الدنيا من زينتها وشهواتها، ولم تنل منه الدنيا شيئا، فكانت حياته كلها لله - عز وجل - حتى فارق الدنيا وهو في طلب العلم والعبادة والزهادة والتصنيف والإفادة، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخلنا وإياه وجنة عالية، قطوفها دانية.

مَوْلدُه ونشأته:

ولد النووي رحمه الله تعالى في المحرم من 631 هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وصادف أن مرَّ بتلك القرية الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي، فرأى الصبيانَ يُكرِهونه على اللعب وهو يهربُ منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن، فذهب إلى والده ونصحَه أن يفرّغه لطلب العلم، فاستجاب له. وفي سنة 649 هـ قَدِمَ مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكنَ المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق. وفي عام 651 هـ حجَّ مع أبيه ثم رجع إلى دمشق.

وكان أسمر، كث اللحية، ربعة، مهيبا، قليل الضحك، عديم اللعب، بل جد صرف يقول الحق وإن كان مرا، لا يخاف في الله لومة لائم.

ووصفه الذهبي أيضا بأن لحيته سوداء فيها شعرات بيض وعليه هيئة وسكينة.

حَيَاته العلميّة:

تميزت حياةُ النووي العلمية بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة أمور:

الأول: الجدّ في طلب العلم والتحصيل في أول نشأته وفي شبابه، وقد أخذ العلم منه كلَّ مأخذ، وأصبح يجد فيه لذة لا تعدِلُها لذة، وقد كان جادّاً في القراءة والحفظ، وقد حفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع العبادات من المهذب في باقي السنة، واستطاع في فترة وجيزة أن ينال إعجاب وحبَّ أستاذه أبي إبراهيم إسحاق بن

أحمد المغربي، فجعلَه مُعيد الدرس في حلقته. ثم درَّسَ بدار الحديث الأشرفية، وغيرها.

الثاني: سعَة علمه وثقافته، وقد جمع إلى جانب الجدّ في الطلب غزارة العلم والثقافة المتعددة، وقد حدَّثَ تلميذُه علاء الدين بن العطار عن فترة التحصيل والطلب، أنه كان يقرأ كلَّ يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، درسين في الوسيط، وثالثاً في المهذب، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، وخامساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جنّي في النحو، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكّيت في اللغة، ودرساً في الصرف، ودرساً في أصول الفقه، وتارة في اللمع لأبي إسحاق، وتارة في المنتخب للفخر الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، وكان يكتبُ جميعَ ما يتعلق بهذه الدروس من شرح مشكل وإيضاح عبارة وضبط لغة.

الثالث: غزارة إنتاجه، اعتنى بالتأليف وبدأه عام 660 هـ، وكان قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد بارك الله له في وقته وأعانه، فأذابَ عُصارة فكره في كتب ومؤلفات عظيمة ومدهشة، تلمسُ فيها سهولةُ العبارة، وسطوعَ الدليل، ووضوحَ الأفكار، والإنصافَ في عرض أراء الفقهاء، وما زالت مؤلفاته حتى الآن تحظى باهتمام كل مسلم، والانتفاع بها في سائر البلاد.

ويذكر الإسنوي تعليلاً لطيفاً ومعقولاً لغزارة إنتاجه فيقول: " اعلم أن الشيخ محى الدين رحمه الله لمّا تأهل للنظر والتحصيل، رأى في المُسارعة إلى الخير؛ أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفاً، ينتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً، وتحصيله تصنيفاً، وهو غرض

صحيح، وقصد جميل، ولولا ذلك لما تيسر له من التصانيف ما تيسر له".

وقد أثني عليه الكثير من العلماء ، والفقهاء، والمحدثين، فقد قال عنه تلميذه ابن العطار: شيخي وقدوتي الإمام ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، وحيد دهره، وفريد عصره، الصوام القوام، الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة صاحب الأخلاق الرضية، والمحاسن السنية، العالم الرباني المتفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته.

وقال الشيخ قطب الدين موسى اليونيني الحنبلي: " المحدث الزاهد العابد الورع المفتخر في العلوم، صاحب التصانيف المفيدة، كان أوحد زمانه في الورع والعبادة والتقلل من الدنيا والإكباب على الإفادة والتصنيف مع شدة التواضع، وخشونة الملبس والمأكل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال الكمال جعفر الأدفوي : إنه صنف تصانيف مفيدة حصل النفع بها، ودارت عليه الفتوى بدمشق... ومآثره عزيزة عزيرة، ومضى على جميل وسداد... وكان فقده من أعظم المصائب، وعدمه بليه رمت العباد بسهم من البلاء صائب، رحمه الله ونفعنا ببركته وحشرنا معه في آخرته في دار كرامته.

وقال الحافظ الذهبي: الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرباني، شيخ الإسلام، حسنة ا لأنام، محيي الدين، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان واشتهرت بأقصى البلدان... لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في ذلك مبتغيا وجه الله -

تعالى - مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح وذم النفس والصبر على العيش الخشن ملازمة لا مزيد عليها ... كان ملازمته التامة للعلم ومواظبته لدقائق العمل وتزكية النفس من شوائب الهوى وسيء الأخلاق ومحقها من أغراضها، عارفا بالحديث قائما على أكثر متونه عارفا برجاله رأسا في نقل المذهب، متضلعا من علوم الإسلام.

وقال اليافعي: شيخ الإسلام، مفتي الآنام، المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب والبعيد، محرر المذهب وضابطه ومرتبه، أحد العباد الورعين الزهاد العالم العامل، المحقق الفاضل، الولي الكبير، السيد الشهير، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة، الذي فاق جميع الأقران، وسارت بمحاسنه الركبان واشتهرت فضائله في سائر البلدان، وشوهدتن له الكرامات وارتقى في أعلى المقامات، ناصر السنة، ومتعمد الفتاوى، ذو الورع الذي لم يبلغنا مثله عن أحد في زمانه ولا قبله.

قال: ولقد بلغني أنه كان يجري دمعه في الليل ويقول:

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة :: على غير ليلى فهو دمع مضيع

قال: وقد رأيت له مقامات تدل على عظم شأنه، ودوام ذكره لله - تعالى -، وحضوره وعمارة أوقاته، وشدة هيبته، وتعظيم وعده ووعيده.

وقال الحافظ ابن كثير: الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، ومن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان من الزهادة والعبادة والتحري والورع والامتنان على الناس والتخلي

لطلب العلم، والتحلي به على جانب لا يقدر عليه غيره، ولا يضيع من أوقاته.

أخلاقُهُ وَصفَاتُه:

أجمعَ أصحابُ كتب التراجم أن النووي كان رأساً في الزهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطيب لنا في هذه العجالة عن حياة النووي أن نتوقف قليلاً مع هذه الصفات المهمة في حياته:

الزهد:

تفرَّغَ الإمام النووي من شهوة الطعام واللباس والزواج، ووجد في لذّة العلم التعويض الكافي عن كل ذلك. والذي يلفت النظر أنه انتقل من بيئة بسيطة إلى دمشق حيث الخيرات والنعيم، وكان في سن الشباب حيث قوة الغرائز، ومع ذلك فقد أعرض عن جميع المتع والشهوات وبالغ في التقشف وشظف العيش.

الورع:

وفي حياته أمثلة كثيرة تدلُّ على ورع شديد، منها أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق، ولما سُئل عن سبب ذلك قال: إنها كثيرة الأوقاف، والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً، ولا يجوز التصرّف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة، والمعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها اختلاف بين العلماء. ومن جوَّزَها قال: بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي؟. واختار النزول في المدرسة الرواحيّة على غيرها من المدارس لأنها كانت من بناء بعض التجّار.

وكان لدار الحديث راتب كبير فما أخذ منه فلساً، بل كان يجمعُها عند ناظر المدرسة، وكلما صار له حق سنة اشترى به ملكاً ووقفه على دار الحديث، أو اشترى كتباً فوقفها على خزانة المدرسة، ولم يأخذ من غيرها شيئاً. وكان لا يقبل من أحد هديةً ولا عطيّةً إلا إذا كانت به حاجة إلى شيء وجاءه ممّن تحقق دينه. وكان لا يقبل إلا من والديه وأقاربه، فكانت أُمُّه ترسل إليه القميص ونحوه ليلبسه، وكان أبوه يُرسل إليه ما يأكله، وكان ينام في غرفته التي سكن فيها يوم نزل دمشق في المدرسة الرواحية، ولم يكن يبتغي وراء ذلك شيئاً.

مُناصحَتُه الحُكّام:

لقد توفرت في النووي صفات العالم الناصح الذي يُجاهد في سبيل الله بلسانه، ويقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مخلصٌ في مناصحته وليس له أيّ غرض خاص أو مصلحة شخصية، وشجاعٌ لا يخشى في الله لومة لائم، وكان يملك البيان والحجة لتأييد دعواه.

وكان الناسُ يرجعون إليه في الملمّات والخطوب ويستفتونه، فكان يُقبل عليهم ويسعى لحلّ مشكلاتهم، كما في قضية الحوطة على بساتين الشام:

لما ورد دمشقَ من مصرَ السلطانُ الملكُ الظاهرُ بيبرسُ بعد قتال التتار وإجلائهم عن البلاد، زعم له وكيل بيت المال أن كثيراً من بساتين الشام من أملاك الدولة، فأمر الملك بالحوطة عليها، أي بحجزها وتكليف واضعي اليد على شيءٍ منها إثبات ملكيته وإبراز وثائقه، فلجأ الناس إلى الشيخ في دار الحديث، فكتب إلى الملك كتاباً جاء فيه: " وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواعٌ

من الضرر لا يمكن التعبير عنها، وطُلب منهم إثباتٌ لا يلزمهم، فهذه الحوطة لا تحلّ عند أحد من علماء المسلمين، بل مَن في يده شيء فهو ملكه لا يحلّ الاعتراض عليه ولايُكلَّفُ إثباته " فغضب السلطان من هذه الجرأة عليه وأمر بقطع رواتبه وعزله عن مناصبه، فقالوا له: إنه ليس للشيخ راتب وليس له منصب. ولما رأى الشيخ أن الكتاب لم يفِدْ، مشى بنفسه إليه وقابله وكلَّمه كلاماً شديداً، وأراد السلطان أن يبطشَ به فصرف الله قلبَه عن ذلك وحمى الشيخَ منه، وأبطلَ السلطانُ أمرَ الحوطة وخلَّصَ الله الناس من شرّها.

مكانة النووي عند علماء الشافعية:

يقول الأستاذ عبد الغني الدقر: هذا وقد أخذ النووي - رحمه الله - الفقه الشافعي عن كبار علماء عصره كما رأيت ذلك في شيوخه في الفقه، وبفترة وجيزة حفظ الفقه وأتقنه، وعرف قواعده وأصوله، وفهم مخابئه وألغازه، وبرع في معرفة أدلته حتى عرف بذلك بين العامة والخاصة، ثم قفز فتساوى مع شيوخة، ولم يمض كبير وقت حتى كان أعلم علماء عصره وأحفظهم للمذهب وأتقنهم لأقوال علمائه، وأعرفهم بعلم الخلاف وأحقهم بأن يكون: محرر المذهب.

وانتشر في الآفاق، وتعلق الطلبة والعلماء بتأليفه، فانتفعوا بها، وما يزال الناس ينتفعون بكتبه، ويؤثرونها، وهاك طرفا مما قاله العلماء في فقهه.

يقول الإسنوي في طبقاته: وهو - أي النووي - محرر المذهب، ومنقحه ومرتبه، سار في الآفاق ذكره وعلا في العلم محله وقدره.

ويقول ابن كثير عنه: شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه.

ويقول الذهبي: وكان رأسا في معرفة المذهب.

ويقول قاضي صفد - محمد بن عبد الرحمن العثماني - في ترجمته من الطبقات الكبرى له عن النووي: شيخ الإسلام، بركة الطائفة الشافعية، محيي المذهب ومنقحة، ومن استقر العمل بين الفقهاء على ما يرجحه.

ويقول الشهاب أبو العباس بن الهائم في مقدمة البحر العجاج شرح المنهاج: الإمام العلامة الحافظ الفقيه النبيل محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه.

ويقول تلميذه ابن العطار: كان حافظا للمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه ومذاهب الصحابة والتابعين واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر سالكا في كلها طريقة السلف.

شيوخه:

شيوخه في الفقه:

1- عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، تاج الدين، عُرف بالفِرْكاح، توفي سنة 690 هـ.

2- إسحاق بن أحمد المغربي، الكمال أبو إبراهيم، محدّث المدرسة الرواحيّة، توفي سنة 650 هـ.

2 -عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسى المقدسي ثم الدمشقي، أبو محمد، مفتي دمشق، توفي سنة 654 هـ.

4- سلاَّر بن الحسن الإربلي، ثم الحلبي، ثم الدمشقي، إمام المذهب الشافعي في عصره، توفي سنة 670 هـ.

شيوخه في الحديث:

1- إبراهيم بن عيسى المرادي، الأندلسي، ثم المصري، ثم الدمشقي، الإمام الحافظ، توفي سنة 668 هـ.

2- خالد بن يوسف بن سعد النابلسي، أبو البقاء، زين الدين، الإمام المفيد المحدّث الحافظ، توفي سنة 663 هـ.

3- عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري، الحموي، الشافعي، شيخ الشيوخ، توفي سنة 662 هـ.

4- عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، أبو الفرج، من أئمة الحديث في عصره، توفي سنة 682 هـ.

5- عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الحرستاني، أبو الفضائل، عماد الدين، قاضي القضاة، وخطيب دمشق. توفي سنة 662 هـ.

6- إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي اليُسْر التنوخي، أبو محمد تقي الدين، كبير المحدّثين ومسندهم، توفي سنة 672 هـ.

7- عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري، ثم الدمشقي الحنبلي، المفتي، جمال الدين. توفي سنة 661 هـ.

ومنهم: الرضي بن البرهان، وزين الدين أبو العباس بن عبد الدائم المقدسي، وجمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي الحرّاني، وأبو الفضل محمد بن محمد بن محمد البكري الحافظ، والضياء بن

تمام الحنفي، وشمس الدين بن أبي عمرو، وغيرهم من هذه الطبقة.

شيوخه في علم الأصول:

أما علم الأصول، فقرأه على جماعة، أشهرهم: عمر بن بندار بن عمر بن علي بن محمد التفليسي الشافعي، أبو الفتح. توفي سنة 672 هـ.

شيوخه في النحو واللغة:

وأما في النحو واللغة، فقرأ على:

الشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي اللغوي، أبي العباس، توفي سنة 664 هـ.

والفخر المالكي.

والشيخ أحمد بن سالم المصري.

مسموعاته:

سمع النسائي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، والدارمي، وأبي عوانة الإسفراييني، وأبي يعلى الموصلي، وسنن ابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي، وشرح السنّة للبغوي، ومعالم التنزيل له في التفسير، وكتاب الأنساب للزبير بن بكار، والخطب النباتية، ورسالة القشيري، وعمل اليوم والليلة لابن السني، وكتاب آداب السامع والراوي للخطيب البغدادي، وأجزاء كثيرة غير ذلك.

تلاميذه:

وكان ممّن أخذ عنه العلم: علاء الدين بن العطار، وشمس الدين ابن النقيب، وشمس الدين بن جَعْوان، وشمس الدين بن القمَّاح، والحافظ جمال الدين المزي، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، ورشيد الدين الحنفي، وأبو العباس أحمد بن فَرْح الإشبيلي، وخلائق.

مصنفاته رحمه الله:

لم يمض على الإمام النووي كبير وقت في الطلب حتى أحس في نفسه أهلية التأليف فشرع في الإسهام بالمؤلفات النافعة ابتداءًا من عام ستين وستمائة كما قال الجمال الإسنوي - رحمه اله تعالى: لما تأهل للنظر والتحصيل رأى في المسارعة إلى الخير أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفا ينتفع به الناظر فيه، فجلع تصنيفه تحصيلا، وتحصيله تصينفا قال: وهو غرض صحيح، وقصد جميل قال : ولو لا ذلك لم يتيسر له من التصنيف ما تيسر له " والإسنوي يشير بهذا إلى كثرة مؤلفاته، التي عجت به (المكتبات، وحققت رغة أولي الرغبات، ولا ريب فقد أربت مؤلفاته على الخمسين مؤلفا، هذا ما ذكر منها ولعل ما لم يذكر منها أكثر، وقد قيل: إن تصنيفه بلغ كل يوم كراستين أو أكثر.

فقد حكى عنه تلميذه ابن العطار أنه أمره ببيع نحو ألف كراسة كان قد كتبها بخطه بعد أن يقف على غسلها في الوراقة وخوفه إن خالف أمره، قال: فما أمكنني إلا طاعته وإلى الآن في قلبي حسرات.

مؤلفاته في الحديث:

- شرح مسلم (بالمنهاج شرح صيحي مسلم بن الحجاج)

- رياض الصالحين - الأربعين النووية:

- خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام

- شرح البخاري - كتب منه جزءا يسيرا ولم يستكمله.

- الأذكار المسمى بـ " حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار "

وفي علوم الحديث : الإرشاد، والتقريب والإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات.

في الفقه:

روضة الطالبين - المجموع شرح المهذب ولم يستكمله، وقد أكمله السبكي والمطيعي.

- المنهاج والإيضاح والتحقيق.

- **التربية والسلوك:**

التبيان في أداب حملة القرآن وبستان العارفين.

- **التراجم والسير:**

تهذيب الأسماء واللغات - وطبقات الفقهاء.

اللغة: القسم الثاني من تهذيب الأسماء واللغات وتحرير التنبيه.

وقد حازت كتبه كلها القبول والرضا لدى الكافة والجميع من أهل العلم ينهل من معينها، ولا ترى أحدا يأنف من الرجوع إليها، بل أن

من رجع إليها فقد عضد رأيه وقوى حجته، وما من إنسان يقف على مؤلفاته إلا لهج بمدحه والثناء والترحم عليه، جزاء خدمته للعلم وأهله بتلك المصنفات المتقنة، فرحمه الله رحمة واسعة.

وفاته رحمه الله وما قيل في رثائه:

وكما كان حظ إمامنا النووي من الدنيا قليلا، فلم ينل منها ولم تنل منه، وكانت كلها للعم والعبادة والتصنيف والزهادة، كذلك كان بقاؤه في الدنيا قليلا، فلم يعمر فيها طويلا ولم يبن الدور و لا سكن القصور، وإنما عاش على الكفاف والعفاف وسط الكتب وفي مدارس العلم الشرعي يفيد ويستفيد إلى أن أدركته منيته ولم يحقق أمنيته ولم يشبع نهمته من العلم النافع والعمل الصالح، وكان ت آماله في التصنيف والإفادة أطول من سنى عمره، فلم يستكمل كثيرا من الكتب التي شرع فيها وخاصة المجموع شرح المهذب، ومن أكمله لم يبلغ علمه وإتقانه وإحسانه، فرحم الله الجميع، ولا غرو في ذلك، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فنسأل الله - تعالى - أن يرفع درجة إمامنا النووي فوق كثير من خلقه، وأن ينفعه بما ترك من علم نافع وسلامة سريرة، وحسن سيرة.

قال ابن العطار: فبلغني مرضه، فتوجهت من دمشق لعبادته، فسر بذلك، ثم أمرني بالرجوع إلى أهلي، فودعته بعد ما أن أشرف على العافية في يوم السبت العشرين من رجب فلما كانت الليلة الثالثة في الرابع والعشرين منه سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة انتقل إلى جوار ربه - رحمه الله تعالى -.

قال ابن العطار: وكان قبل قوله أذن لي في السفر بأيام يسيرة، أرمل إليه فقير إبريقا فقبله وقال: قد أرسل إلى فقير آخلا زنبيلا، قال: وهذا إبريق وذلك ألة السفر.

وقال التاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى ونقله السخاوي:

إنه قبل ظهوره إلى نوى رد الكتب المستعارة من الأوقاف جميعها.

وحكى اللخمي عن غير واحد من العلماء بدمشق أنه لما خرج منها إلى نوى خرج معه جماعة العلماء وغيرهم لظاهر دمشق، وسألوه متى الاجتماع؟ فقال: بعد مائتي سنة فعلموا أنه عني القيامة.

وقال القطب اليونيني: ولما وصل الخبر بوفاته لدمشق توجه قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة على قبره.

يقول الذهبي: ورثاه غير واحد يبلغون عشرون نفسا بأكثر من ستمائة بيت.

فمن رثاه الصدر الرئيس الفاضل أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب، وأول قصيدته:

أكتم حزني والمدامع تبديه ⁝ لفقد امرئ كل البرية تبكيه

وممن رثاه الأديب المحدث أبو الحسن على بن إبراهيم بن المظفر الكندي، وأول مرثيته:

لهفي عليه سيدا حصور ا ⁝ سندا لأعلام الهدى وظهيرا

تعدادها واحد وثلاثون بيتا أولها:

رزية محيي الدين قد عمت الورى ⁝ فلست ترى إلا حزينا مفكرا

وممن رثاه بقصيدة تعدادها عشرة أبيات تلميذه الفقيه المقرئ أبو العباس أحمد الضرير الواسطي الملقب بالخلال وأولها:

لقد ذهب الحبر الجليل الموفق ⁝ وعدنا حيارى والدموع تدفق

وممن رثاه بعض المحبين - كما يقول ابن العطار - بقصيدة تعدادها أربعون بيتا أولها:

وجدت عليك شرائع الإسلام ⁝ أسفا يلازمها مدى الأيام [1]

* * *

(1) المصدر: مقدمة كتاب الأذكار ، مقدمة كتاب روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، السيوطي، المنهاج السوي في ترجمة محيى النووي طبعة دار التراث الأولى 1409 هـ تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي.